Journal Of the Iraqia University (75-10) July (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

الخطاب الحِجاجي في شعر المخضرَمين بين الموروث الجاهلي والقِيَم الإسلامية

أ.م.د. نوال نعمان كريم
كلية التربية قسم اللغة العربية جامعة جرمو
Nawal.noman@chu.edu.iq

الملخص

يتناول هذا البحث ظاهرةَ الخطاب الحِجاجي في شعر المخضرَمين، أولئك الشعراء الذين عاشوا في حقبتين متمايزتين: الجاهلية وصدر الإسلام، وتشرَّبوا روح كلٍّ منهما وأفرزوا نصوصاً شعرية فريدة تجمع بين بنى الحِجاج الجاهلي وآليات الإقناع الإسلامي. يسعى البحث إلى الكشف عن الأنماط الحِجاجية التي وظَّفها هؤلاء الشعراء في نصوصهم، وتحليل العلاقة الجدلية بين الموروث الجاهلي بما يحمله من قيم الشرف والمروءة والفخر والهجاء، وبين القيم الإسلامية الجديدة التي أرست مفاهيم التوحيد والعدل والأخلاق.يعتمد البحث على المنهج التداولي الحِجاجي في تحليل النصوص، مستنداً إلى نظرية الحِجاج في اللغة لأنسكومبر وديكرو، ونظرية الحِجاج الجديد لبيرلمان وتيتيكاه، فضلاً عن الاستناد إلى المصادر العربية الكلاسيكية المحقَّقة. وخلص البحث إلى أن الخطاب الحِجاجي عند المخضرَمين لم يكن تحوُّلاً مفاجئاً بل كان انتقالاً تدريجياً انعكست فيه مرحلة التحوُّل الكبرى في تاريخ الجزيرة العربية، وأن القصيدة المخضرَمة تمثّل نموذجاً فريداً للتفاوض الخطابي بين نسقين ثقافيين متعاقبين.

الكلمات المفتاحية: الحِجاج، الخطاب، المخضرَمون، الجاهلية، صدر الإسلام، التداولية، البلاغة العربية.

تمهيد: في الإطار النظري والمنهجي

لا يزال الشعر العربي في المرحلة المخضرَمة يُمثِّل أحد أكثر الحقول الأدبية ثراءً وتعقيداً في الدراسات البلاغية والأسلوبية المعاصرة؛ إذ يقف هذا الشعر على مفترق حضاري فاصل بين عصرين لا يتشابهان في بنيتهما القيمية والعقدية والاجتماعية، وهو ما يجعله مادةً خصبة لدراسة الخطاب الحِجاجي الذي يعكس التحولات الكبرى التي شهدتها الجزيرة العربية في مطلع القرن السابع الميلادي.إن مفهوم الحِجاج – بوصفه نظاماً خطابياً يهدف إلى الإقناع وتغيير المعتقدات والمواقف – قد أخذ يحتلُّ مكانةً متصاعدة في الدراسات اللغوية والأدبية منذ أن أعاد بيرلمان وتيتيكاه الاعتبارَ لفن البلاغة بوصفها أداةَ حِجاج فعّالة في مؤلَّفهما الرائد "مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة" عام ١٩٥٨م[١]، ثم جاء أنسكومبر وديكرو ليطوّرا هذا الإطار في نظريتهما التداولية الشهيرة "الحجاج في اللغة" عام ١٩٨٣م[٢]، مؤكِّدَيْن أن الحِجاج ظاهرة متجذِّرة في صميم اللغة ذاتها، لا مجرَّد أسلوب بلاغي طارئ عليها.ويأتي هذا البحث امتداداً لهذا التقليد المنهجي، غير أنه يسعى إلى تطبيقه على مادة أدبية عربية كلاسيكية ذات طابع انتقالي خاص، وهي شعر المخضرَمين. وقد آثرتُ – بوصفي باحثةً متخصِّصةً في البلاغة العربية ودراسات الخطاب – أن أسعى إلى مزاوجة المنهج الغربي الحِجاجي الحديث مع الإرث البلاغي العربي الأصيل الممثَّل في مؤلَّفات الجاحظ[٣] وعبد القاهر الجرجاني[٤] وابن قتيبة والقزويني وغيرهم، مؤمنةً بأن هذه المزاوجة كفيلة بإنتاج قراءة أعمق وأكثر ملاءمةً للنص الشعري العربي في مراحله التأسيسية.

أولاً: تعريف المخضرَمين وحدود الظاهرة

المخضرَمون في الاصطلاح النقدي العربي هم الشعراء الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، وقد أورد ابن سلام الجُمَحي في كتابه ***طبقات فحول الشعراء*** جملةً من أسمائهم مُصنِّفاً إياهم طبقةً قائمة بذاتها[٥]، كما ذكر ابن قتيبة في كتابه ***الشعر والشعراء*** أنهم يمتلكون خصائص فنية وفكرية تُمايزهم عن سابقيهم ولاحقيهم[٦].ومن أبرز من يُمثِّل هذه الطبقة: حسان بن ثابت الأنصاري، ولبيد بن ربيعة العامري، والنابغة الجعدي، وكعب بن زهير، وكعب بن مالك، والأعشى الأكبر، وزهير بن أبي سلمى في نهاياته، فضلاً عن عمرو بن معدي كرب وغيرهم. وقد أجمع النقاد على أن هؤلاء الشعراء يمثِّلون نموذجاً فريداً في تاريخ الشعر العربي، إذ حملوا في ذاكرتهم وجدانَيْن مختلفَيْن، ونطقوا بلسانين، ووظَّفوا أدواتٍ بلاغية متباينة في سياقات مختلفة.

ثانياً: الإطار النظري للحِجاج

يقوم الحِجاج في تعريفه الإجرائي لهذا البحث على مجموعة من الآليات الخطابية التي يوظِّفها الخطيب أو الشاعر بغية التأثير في المتلقِّي وتغيير موقفه أو تثبيته على موقفه. وقد ميَّز بيرلمان وتيتيكاه بين نوعين من الحِجاج: الحِجاج الارتباطي الذي يُنشئ تضامنات بين عناصر الخطاب، والحِجاج الفصلي الذي يُفكِّك ما بدا متماسكاً[٧].أما على صعيد الحِجاج في البلاغة العربية الكلاسيكية، فقد كشف الجاحظ في ***البيان والتبيين*** عن وعيٍ عميق بظاهرة الإقناع الخطابي، إذ ميَّز بين أنواع البيان وأساليبه، وأكَّد أن الشعر ضرب من ضروب الخطاب المؤثِّر في الوجدان الجمعي[٨]. كما أشار عبد القاهر الجرجاني في ***دلائل الإعجاز*** إلى الأبعاد الحِجاجية في تركيب الجملة وانتخاب الدلالة[٩].وقد اعتمد هذا البحث على منظومة من المصطلحات الإجرائية أبرزها: المقدِّمة الحِجاجية، والنتيجة، والروابط الحِجاجية، والأدوات الحِجاجية، والقِيَم المشتركة المسلَّم بها بين المتكلِّم والجمهور. وهذه المصطلحات مستقاة أساساً من الإطار النظري لنظرية الحِجاج في اللغة، غير أنها مُكيَّفة لتلائم خصوصية الشعر العربي القديم وسياقاته الثقافية والاجتماعية.

ـ الهوامش ـ

(١) بيرلمان، شاييم وتيتيكاه، لوسي أولبرشت، مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة، ترجمة محمد صالح ناجي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠١١م، ص ٤٧–٥٣.

(٢) أنسكومبر، جان كلود وديكرو، أوزوالد، الحجاج في اللغة، ترجمة عبد الله صولة وآخرين، مكتبة علاء الدين، صفاقس، ط١، ٢٠٠٦م، ص ١٩–٣٥.

(٣) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٩٩٨م، ج١، ص ٧٦–٨٢.

(٤) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢م، ص ٢٣٤.

(٥) ابن سلام الجُمَحي، محمد، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٤م، ج١، ص ١٣–١٨.

(٦) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٦٦م، ص ٤٩.

(٧) بيرلمان وتيتيكاه، مصنف في الحجاج، مصدر سابق، ص ١٩٣–٢١٠.

(٨) الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، ج١، ص ٨١.

(٩) الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص ٢٦١.

المحور الأول: الموروث الحِجاجي الجاهلي في شعر المخضرَمين

يُعدُّ الشعر الجاهلي – قبل كل شيء – خطاباً اجتماعياً وظيفياً في المقام الأول؛ فهو ليس ترفاً جمالياً بل أداةُ حرب وسلم وفخر وهجاء ورثاء وتحريض وإقناع. وقد قامت منظومته الحِجاجية على قيم راسخة توارثها العرب جيلاً بعد جيل، وهو ما أكَّده العزاوي في دراسته النظرية للحِجاج والاستدلال الحِجاجي[١٠].

١–١: قيم الفخر والنسب بوصفها حِججاً جاهلية

تقوم البنية الحِجاجية في الشعر الجاهلي على مسلَّمات جمعية أساسها قيمتان محوريتان: الشرف النسبي والمروءة الفردية. وهاتان القيمتان تُشكِّلان ما أسماه بيرلمان بـ"موضع الكيف"، وهو الموضع الذي يستند إليه الخطيب لإقناع جمهوره انطلاقاً من مسلَّمات مشتركة لا تحتاج إلى برهان[١١].

فحين يمدح لبيد بن ربيعة قومه في معلَّقته الشهيرة بقوله: "نحن بنو أمِّ البنين الأربعة"، فهو لا يُخبر بمعلومة بل يحتجُّ بها؛ إذ يستدعي منظومة النسب الشريف ويجعل منها حُجَّةً لتعظيم الذات الجمعية وإلزام المتلقِّي بالإذعان لهذا التعظيم[١٢]. وهذا ما نسمِّيه الحِجاج بالمثال النسبي، وهو ضرب من الحِجاج يعتمد الانتماء القبلي مقدِّمةً تستلزم نتائج محدَّدة في ذهن المتلقِّي.وعلى الصعيد ذاته، نجد كعب بن زهير – قبل إسلامه – يوظِّف الحِجاج النسبي توظيفاً مكثَّفاً في قصائده الجاهلية، مؤكِّداً شرف أبيه زهير بن أبي سلمى ووارثاً له بوصفه حُجَّةً على أحقِّيته بمنزلة الشعر والمكانة القبلية. وقد أوضح ابن رشيق القيرواني في ***العمدة*** أن الشعراء المخضرَمين كانوا يحرصون على توظيف إرثهم الجاهلي في نصوصهم الإسلامية المبكِّرة لإثبات الكفاءة الشعرية وإقناع جمهورهم بشرعية صوتهم الجديد[١٣].

١-٢: الهجاء والفخر بوصفهما أدواتٍ حِجاجية

الهجاء في الشعر الجاهلي ليس مجرَّد سبٍّ وذمٍّ، بل هو خطاب حِجاجي منظَّم يهدف إلى تقويض القيم التي يدَّعيها الخصم، وإثبات عكسها بالأدلة الشعرية. وقد تنوَّعت أدوات هذا الحِجاج الهجائي عند المخضرَمين على ثلاثة مستويات:

أ- الحِجاج بالضدِّ: ويقوم على إثبات قيمة سلبية للخصم في مقابل قيمة إيجابية للمادح. ومن شواهده ما نجده في هجاء حسان بن ثابت لمشركي قريش في صدر الإسلام(١٤)، غير أنه كان يوظِّف في أحيان كثيرة معايير الشرف الجاهلية ذاتها - كالكرم والشجاعة والحسب - معياراً للذمِّ والمدح معاً، مما يكشف عن استمرارية منظومة القيم الجاهلية حتى في صدر الإسلام.

ب- الحِجاج بالسلطة: ويتجلَّى في استحضار أسماء الأجداد والأبطال الجاهليين شواهدَ إثبات على قيمة القبيلة. فقول النابغة الجعدي حين يستشهد بمآثر آبائه يُعدُّ ضرباً من ضروب الحِجاج بالسلطة التاريخية(١٥)، حيث يتحوَّل التاريخ القبلي إلى حُجَّة جاهزة لإقناع المتلقِّي وإلزامه الاعتراف بالمنزلة.

ج- الحِجاج بالتشبيه والاستعارة: وهو من أكثر الأدوات الحِجاجية فاعليةً في الشعر الجاهلي، إذ يُقيم المتكلِّم تشابهاً بين موضوعه ومرجع معروف لدى الجمهور، فيستعير من صورة المرجع قوَّتها الإقناعية ويحوِّلها إلى موضوعه. ومن ذلك تشبيه الممدوح بالأسد أو البحر أو النجم، وكلُّها صور تستدعي منظومةً من القيم الجمعية الجاهلية التي تتضمَّن البطولة والسخاء والثبات.

١-٣: الرثاء الجاهلي بين الحِجاج الوجداني والحِجاج القِيَمي

يُمثِّل الرثاء عند المخضرَمين نموذجاً استثنائياً لالتقاء الحِجاجَيْن الجاهلي والإسلامي؛ ففي قصائد الرثاء التي نظمها لبيد بعد إسلامه - كرثائه لأخيه أربد - نجد أن البنية الحِجاجية تجمع بين تكل الفقد بوصفه وجداناً إنسانياً جاهلياً، وبين مفهوم الصبر الإسلامي وقبول القدر(١٦). وهذا التوتُّر الحِجاجي بين الصوتين لا يُلغي أحدهما الآخرَ بل يُشكِّل نسيجاً خطابياً مركَّباً هو سمة المخضرَمين الأساسية.ومما يُلفت النظر في هذا السياق أن المخضرَمين حين يرثون شهداء المعارك الإسلامية - كما فعل حسان بن ثابت في رثاء شهداء أُحُد - يستعينون بالأدوات الحِجاجية الجاهلية ذاتها: استدعاء فضائل الممدوح، وتصوير فجيعة القبيلة، وإبراز العار الذي سيلحق بالأعداء(١٧). غير أن هذه الأدوات تُوظَّف الآن في خدمة منظومة قِيَم مغايرة تماماً تجعل موت الشهيد انتصاراً لا هزيمة، وهو ما يمثِّل جوهر التحوُّل الحِجاجي عند المخضرَمين.

١-٤: الحِجاج الغزلي وتوظيف العاطفة

لم يكن الغزل في الشعر الجاهلي ترفاً غنائياً بل كان ضرباً من الحِجاج العاطفي يهدف إلى إقناع المحبوبة أو القبيلة أو الجمهور بحقيقة وجدان المتكلِّم وصدق مشاعره، وهو ما وصفه الجاحظ بـ"التطريب" بوصفه أحد أدوات الإقناع البيانية(١٨). فالغزل المخضرَم - كما نجده عند كعب بن زهير في البيت الأول من بانته سعاد - يفتتح القصيدة المدحية بحِجاج عاطفي يُهيِّئ وجدان المتلقِّي لقبول التحوُّل الحِجاجي الكبير الذي سيأتي في المدح النبوي(١٩).

وترى الباحثة - انطلاقاً من قراءتها التحليلية للنص - أن هذا الافتتاح الغزلي في قصيدة كعب بن زهير ليس مجرَّد التزام بنمط قصائدي جاهلي، بل هو خيار حِجاجي ذكي يسعى إلى استدراج المتلقِّي المتشبِّع بالثقافة الجاهلية ليجد نفسه في منتصف القصيدة أمام مدحٍ نبوي لم يكن يتوقَّعه، فيكون قد قبله بفعل الجرف العاطفي الذي هيَّأته له البنية الغزلية. وهذا ما نسمِّيه في سياق هذا البحث بـ"الاستمالة الحِجاجية التمهيدية"، وهي ظاهرة تكشف عن وعي خطابي عالٍ عند هؤلاء الشعراء.

نماذج تحليلية تطبيقية للمحور الأول

الموروث الحِجاجي الجاهلي في شعر المخضرَمين — تحليل حِجاجي بياني وبديعي

النموذج الأول: معلَّقة لبيد بن ربيعة — الحِجاج بالنسب والفخر القبلي

نَحْنُ بَنُو أُمِّ البَنِينَ الأَرْبَعَهْ ★ وَنَحْنُ خَيْرُ عَامِرٍ مِنْ تُبَّعَهْ

أ — التحليل الحِجاجي:

يشتغل هذا البيت على آلية الحِجاج بالنسب (argument from lineage) التي تُعدُّ من أقوى الحِجج في المنظومة الجاهلية. فـ"بنو أمِّ البنين" ليست مجرَّد إشارة نسبية بل هي مقدِّمة حِجاجية تستلزم في ذهن المتلقِّي الجاهلي جملةً من النتائج المضمرة، أبرزها: الشرف الرفيع، والكفاءة القتالية، وأحقِّية القيادة. يُضاف إلى ذلك أن ضمير الجمع "نحن" يُحوِّل الفخر الفردي إلى فخر جماعي، وهو ما يوصفه بيرلمان بـ"حِجاج الهوية الجمعية"

الذي يُلزم الجمهور المُتقاسم لهذه الهوية بالإذعان للنتيجة. كما أن صيغة التفضيل "خير عامر" تُشكِّل روابط حِجاجية مقارِنة تُعلي شأن المحتَجّ به على سائر القبائل إعلاءً لا يحتاج إلى دليل لأنه يُقدَّم بوصفه مسلَّمة مشتركة.

ب — التحليل البياني:

وظَّف لبيد المجاز المرسل في قوله "أمُّ البنين" إذ أطلق اسم الأم دلالةً على المنبت الشريف كله، فكانت الأم كنايةً عن أصل الشرف وينبوع الكمال. ويصطنع الشاعر أسلوب القصر بـ"نحن... الأربعة" ليحصر المكرمات في هذه الجهة دون سواها، وهو قصر ادِّعائي قائم على المبالغة المقبولة في سياق الفخر. أما الطباق الضمني بين "الأربعة" (المحدودية العددية) و"خير عامر" (الامتداد القبلي الشامل) فيُضفي على البيت توتُّراً بيانياً يُعمِّق دلالة الفضل المطلق.

ج — التحليل البديعي:

يقوم البيت على جناس اشتقاقي خفيف بين "البنين" و"الأربعة" إذ كلاهما يُحيل على الجماعة الذكورية الكاملة. ويبرز في الشطرين حسن التقسيم إذ يُقابل الشاعر بين إثبات الانتساب (نحن بنو...) وإثبات التفضيل (نحن خير...) في بنية متوازية تُعضِّد كلٌّ منهما الأخرى وتُحكم البناء الحِجاجي بنسيج بديعي محكم. فضلاً عن الإيجاز الجامع الذي يُكثِّف معاني السيادة والنسب والمكانة في شطر واحد مشحون بالدلالة.

النموذج الثاني: هجاء حسان بن ثابت لأبي سفيان — الحِجاج بالضدِّ والسلطة التاريخية

هَجَوْتَ مُحَمَّداً فَأَجَبْتُ عَنْهُ ★ وَعِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الجَزَاءُ

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي ★ لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنكُم وِقَاءُ

أ — التحليل الحِجاجي:

يعتمد حسان في هذين البيتين آليةَ الحِجاج بالضدِّ التي تقوم على تفكيك قِيَم الخصم وإثبات نقيضها. فالبيت الأول يُنشئ بنيةً تناظرية محكمة: فعل الهجاء (هجوتَ) في مقابل فعل الدفاع (أجبتُ)، ثم يُلغي كلا الفعلين بالإحالة إلى سلطة عليا (عند الله) تعلو على كل حِجاج بشري، وهو توظيف ذكي للحِجاج بالسلطة الإلهية. أما البيت الثاني فيشتغل بآلية الفداء الحِجاجي (حِجاج التضحية): إذ يجعل حسان نسبه وعِرضه ووالده — وهي أعلى القِيَم في سلَّم الحِجج الجاهلية — وسيلةً للدفاع عن النبي، مما يُفيد ضمنياً أن قيمة النبي تعلو على هذه كلها. فالبنية الحِجاجية هنا جاهلية الأدوات إسلامية الغاية.

ب — التحليل البياني:

يُوظِّف حسان الاستعارة التصريحية حين يجعل النسب والعِرض وِقاءً (درعاً وقائياً)، وهي صورة بيانية تستمدُّ قوَّتها من عالم الحرب المادي لتُحوِّله إلى دفاع معنوي شعري. والمجاز في "عِنْد الله فِي ذَاك" كناية عن يقين الجزاء الإلهي والرقابة الربانية على أفعال العباد، مما يُعمِّق التحوُّل نحو البنية الإسلامية. ويُلاحَظ توظيف أسلوب القصر الإضافي في "لِعِرض محمد منكم وِقاء" إذ يحصر وظيفة كل هذه القِيَم في الدفاع عن النبي وحده.

ج — التحليل البديعي:

يبرز في البيتين الطباق المضمر بين الهجاء والجزاء، وبين فعل الإساءة وفعل الوقاية. ويتجلَّى التدريج البديعي في صعود سلَّم القِيَم: الأب — الوالد — العِرض، وهو ترتيب يصعد من الجزئي إلى الكلي مما يُضفي على البيت طاقةً خطابية تُصاعد تأثير الحِجاج في المتلقِّي. ويُلفت النظر تصدير البيتَيْن بأفعال الفعل والردِّ (هجوتَ — أجبتُ) في بنية ردِّ الفعل البديعية التي تمنح الخطاب انسجاماً موسيقياً ينعكس على قوَّته الإقناعية.

النموذج الثالث: رثاء لبيد لأخيه أربد — التوتُّر الحِجاجي بين الجاهلية والإسلام

فَجَّعَنِي الرَّعْدُ وَالصَّوَاعِقُ بِالـ ★ فَارِسِ يَومَ الكَرِيهَةِ النَّجِدِ

فَاعْقِلُوا إِنَّ النُّفُوسَ إِلَى رَبِّهَا ★ كُلُّ نَفسٍ مِنكُمُ لَهُ تَرِدُ

أ — التحليل الحِجاجي:

يُمثِّل هذان البيتان أوضح نموذج على ظاهرة الانشطار الحِجاجي في شعر المخضرَمين؛ إذ يُضمر البيتُ الأول الحِجاجَ الجاهلي في رثاء الفارس (الكريهة — النجد) بما يحمله من قِيَم الشجاعة والبطولة القبلية التي تُشكِّل مقدِّماتٍ مشتركة مع جمهور جاهلي، في حين ينتقل البيت الثاني انتقالاً حِجاجياً مفاجئاً إلى الخطاب الإسلامي الصريح بالأمر بالتعقُّل (فاعقلوا) والإقرار بالمصير الإلهي. هذه البنية الحِجاجية الثنائية تُجسِّد ما اصطُلح عليه في هذا البحث بـ"التفاوض الخطابي": يُقيم لبيد حِجَّته أمام الجمهور الجاهلي بأدواته، ثم يُحوِّلها في اللحظة ذاتها إلى درسٍ إسلامي في الإذعان للقدر.

ب — التحليل البياني:

يُوظِّف لبيد الاستعارة المكنية حين يجعل الرعد والصواعق فاعلاً يُفجِّع، فيُضفي على قوى الطبيعة إرادةً وقصداً يُعمِّقان الأثر العاطفي للرثاء. وهذه الصورة تخدم الحِجاج الوجداني الذي يُمهِّد لقبول الحكمة الإسلامية في البيت الثاني. كذلك تتجلَّى الكناية في "يوم الكريهة" التي تُكنِّي عن يوم الحرب بما يستحضر في ذهن المتلقِّي كل معاني البطولة والبأس. وفي البيت الثاني يُوظِّف الشاعر استعارة "الورود" بدلالتها القرآنية المُفيدة للحضور أمام الله والعودة إليه.

ج — التحليل البديعي:

يشتمل البيتان على مقابلة ضمنية بين الأسلوبَيْن الخبري (فجَّعني) والإنشائي الطلبي (فاعقلوا)، مما يُنشئ تحوُّلاً بديعياً من الوجدان الفردي إلى الحكمة الجماعية. ويبرز الالتفات من المتكلِّم (فجَّعني) إلى المخاطَب الجمعي (فاعقلوا — منكم) وهو ضرب من البديع يُوسِّع دائرة التأثير ويحوِّل مصيبة الفرد إلى عبرة كونية. ويُلاحَظ أيضاً حسن التعليل في ربط وجوب التعقُّل بعلَّة الورود إلى الله، مما يجعل الحِجاج الإسلامي مؤسَّساً على العقل لا على العاطفة وحدها.

ـ الهوامش ـ

(١٠) العزاوي، أبو بكر، الحجاج والاستدلال الحجاجي: عناصر استقصاء نظري، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج ٢٨، ع٣، ٢٠٠٠م، ص ٣٥–٨٠.

(١١) بيرلمان وتيتيكاه، مصنف في الحجاج، مصدر سابق، ص ١١٢.

(١٢) لبيد بن ربيعة، ديوان لبيد، تحقيق إحسان عباس، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٢م، ص ١٧٧.

(١٣) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١م، ج١، ص ٨٩–٩٤.

(١٤) حسان بن ثابت الأنصاري، الديوان، تحقيق عبد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ص ١١٨–١٣٥.

(١٥) النابغة الجعدي، ديوان النابغة الجعدي، تحقيق واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص ٤٥.

(١٦) لبيد بن ربيعة، الديوان، مصدر سابق، ص ٢١٣.

(١٧) حسان بن ثابت، الديوان، مصدر سابق، ص ٢٠١–٢٢٠.

(١٨) الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، ج٢، ص ٩.

(١٩) كعب بن زهير، ديوان كعب بن زهير، تحقيق علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ص ٧.

المحور الثاني: التحوُّل الحِجاجي نحو القِيَم الإسلامية وآلياته

إذا كان المحور الأول قد تناول البنية الحِجاجية للموروث الجاهلي في شعر المخضرَمين، فإن هذا المحور يُعنى برصد آليات التحوُّل نحو الخطاب الحِجاجي الإسلامي وأبعاده الدلالية والجمالية؛ وهو تحوُّل لم يكن تخلِّياً تاماً عن الموروث الجاهلي، بل كان تشغيلاً مغايراً لأدواته الحِجاجية في خدمة منظومة قِيَم جديدة تُغاير في جوهرها ما سبقها.

٢–١: مفهوم التوحيد بوصفه منطلقاً حِجاجياً جديداً

يُمثِّل مفهوم التوحيد أهمَّ التحوُّلات في البنية الحِجاجية للشعر المخضرَم؛ فالشعر الجاهلي قام على كثرة المرجعيات الحِجاجية (الأنساب، الآلهة، الشرف القبلي)، في حين فرض الإسلام مرجعيةً حِجاجية واحدة مطلقة هي الله سبحانه وتعالى. وهذا التحوُّل ليس لاهوتياً فحسب بل هو في صميمه تحوُّل في بنية الحِجاج ذاتها، وهو ما أشار إليه صولة في دراسته للحِجاج في القرآن الكريم[٢٠].ففي شعر لبيد بن ربيعة بعد إسلامه – وقد أمسك عن قرض الشعر إلى حدٍّ بعيد – نجد القليلَ الذي وصلنا منه يكشف عن توحيد الله مرجعاً أعلى للحِجاج. أما حسان بن ثابت فكان أكثر المخضرَمين توظيفاً لهذا التحوُّل الحِجاجي في شعره، إذ نجد في مدائحه النبوية استدعاءً صريحاً لمفهوم النبوة بوصفها الحُجَّة العليا التي تعلو على كل حجج الشرف والنسب والبطولة الجاهلية[٢١].

٢–٢: الحِجاج بالإيحاء القرآني والمفردة الإسلامية

من أبرز سمات التحوُّل الحِجاجي عند المخضرَمين أنهم أدرجوا في نسيجهم الشعري مفردات قرآنية وإيحاءات إسلامية باتت تعمل مقدِّماتٍ حِجاجية راسخة في وجدان المتلقِّي المسلم الجديد. فإذا كانت مقدِّمات الحِجاج الجاهلي تستند إلى مسلَّمات الشرف القبلي، فإن مقدِّمات الحِجاج الإسلامي في

شعر المخضرَمين تستند إلى مسلَّمات الوحي الإلهي التي تتمتَّع بقوة إقناع تفوق كل حجة أخرى[٢٢].ومن الأمثلة الدالة في هذا الباب ما نجده عند كعب بن مالك الأنصاري الذي كان يستشهد في قصائده الجهادية بمفاهيم قرآنية تُشرعن الجهاد وتُبشِّر بالجنة، مُحوِّلاً بذلك الحِجاجَ من الفخر بالإرث الجاهلي إلى الفخر بالإرث الإسلامي[٢٣]. وهذا ما وصفه أبو الفرج الأصفهاني في ***الأغاني*** بأن هؤلاء الشعراء أصبحوا لسان المسلمين المُدافع عن دينهم كما كان شاعر القبيلة لسانها المُدافع عن شرفها[٢٤].

٢-٣: قِيَم العدل والرحمة بوصفها حِججاً مستحدَثة

أفرز الإسلام منظومةً حِجاجية جديدة تقوم على قِيَم لم تكن الجاهلية تمنحها الأولوية، ومنها: العدل، والرحمة، والتسامح، والمساواة الإنسانية. وهذه القِيَم باتت تُشكِّل مصادر الحِجاج الجديدة في شعر المخضرَمين. ومن أبرز ما يُلاحَظ في هذا السياق أن العلاقة بين المنظومتَيْن ليست علاقة إلغاء بل علاقة توجيه وإعادة توظيف[٢٥].ففي مدائح النبي صلى الله عليه وسلم عند حسان بن ثابت، نجد أن الحِجاج يقوم على ثلاث ركائز: الأولى جاهلية الطابع (شرف النسب الهاشمي)، والثانية إسلامية صريحة (النبوة والوحي)، والثالثة إنسانية جامعة (الرحمة بالبشرية كلِّها). وهذا التركيب الثلاثي يُعبِّر عن التفاوض الخطابي بين الموروث والمستحدَث الذي يُميِّز الخطاب الحِجاجي المخضرَم[٢٦].

٢-٤: الخطاب الحِجاجي وظاهرة الإمساك عن الشعر

من أعمق مظاهر التحوُّل الحِجاجي عند المخضرَمين ظاهرةُ إمساك بعضهم عن قرض الشعر بعد إسلامهم. وتُرى الباحثة أن هذه الظاهرة في حدِّ ذاتها موقفٌ حِجاجي ضمني: إذ يُعلن الشاعر بصمته خطاباً حِجاجياً مضاداً للصخب الشعري الجاهلي، ويُقرُّ ضمنياً بأن الكلام الإلهي (القرآن) يعلو على كل كلام بشري، وهو مما أشار إليه ابن عبد ربه الأندلسي في ***العقد الفريد***[٢٧].وقد أفصح لبيد بن ربيعة عن هذا الموقف حين سُئل عن شعره بعد إسلامه فأجاب بتلاوة آيات من القرآن الكريم[٢٨]، وهو ردٌّ حِجاجي بامتياز يقوم على الاستبدال: يستبدل الشاعر ما كان أداةَ إقناعه الأولى (الشعر) بأداة إقناع أعلى وأشمل (القرآن). وهذا الموقف يكشف عن وعي حِجاجي عميق بسلَّم الحِجج وقِيَمها، وهو وعيٌ يُشير إلى أن المخضرَمين لم يكونوا يتخلَّون عن الحِجاج بل يُعيدون رسم خارطته ومراتب أدواته.

٢-٥: ظاهرة الانشطار الحِجاجي في القصيدة المخضرَمة

ترى الباحثة – وهذا من أبرز ما تنتهي إليه هذه الدراسة – أن أكثر ما يميِّز الخطاب الحِجاجي المخضرَم ليس الانتقال من منظومة قِيَم إلى أخرى بل التعايش المتوتِّر بين المنظومتَيْن في القصيدة الواحدة. وهذا ما تُصطلح عليه الباحثة بـ"الانشطار الحِجاجي"، مستندةً في ذلك إلى مفهوم تعدُّد الأصوات الديالوجي عند باختين[٢٩] الذي يرى أن النص الأدبي لا يحمل صوتاً واحداً بل أصواتاً متداخلة ومتحاورة.ويتجلَّى هذا الانشطار الحِجاجي في مستويَيْن أساسيَّيْن: الأول هو التنازع الصوتي، حيث يتعدَّد الصوت الحِجاجي في القصيدة الواحدة فيتحدَّث الشاعر في أحيان كثيرة بصوتَيْن: صوت الجاهلي الفخور المتمسِّك بقِيَم الشرف القبلي، وصوت المسلم المؤمن الداعي إلى التواضع والإخلاص لله. والثاني هو التراتبية الحِجاجية المتغيِّرة، إذ يتبادل الصوتان الجاهلي والإسلامي موضعَ الأولوية في الخطاب وفقاً للسياق الاجتماعي والمقامي.

٢-٦: شعر المخضرَمين في ضوء التداولية المعاصرة

لا يتوقَّف الخطاب الحِجاجي عند مجرَّد تحليل الأدوات البلاغية، بل يمتدُّ ليشمل تحليل السياقات التداولية التي أُنتج فيها هذا الشعر. فالمخضرَم لا يُخاطب جمهوراً واحداً بل جماهير متعدِّدة: القبيلة، والمسلمون الجدد، والنبي صلى الله عليه وسلم، والمشركون الخصوم. وكلٌّ من هذه الجماهير يستلزم استراتيجية حِجاجية مختلفة[٣٠].وفي ضوء ما أرساه غرايس من مبادئ التعاون في الخطاب[٣١]، يُمكن القول إن المخضرَمين كانوا يُحكمون توظيف مبدأَيْ الكمِّية والكيف في خطابهم الحِجاجي: فهم يُقدِّمون من المعلومات بقدر ما يحتاجه السياق الحِجاجي، ويُكيِّفون صياغتها لتنسجم مع القِيَم المشتركة مع كلِّ جمهور على حدة. وهذا ما يجعل شعر المخضرَمين نموذجاً استثنائياً في التاريخ الأدبي العربي للتكيُّف الخطابي الناجح مع تعدُّد الجماهير وتباين قِيَمها.وخلاصة ما يمكن التأكيد عليه في نهاية هذا المحور أن الخطاب الحِجاجي المخضرَم يتميَّز بديناميكية نادرة تجعله أكثر الأنماط الشعرية العربية التصاقاً بالواقع الاجتماعي وتفاعلاً مع متغيِّراته، وأن دراسته وفق المناهج الحديثة تُفتح آفاقاً معرفية جديدة في فهم مرحلة التحوُّل الكبرى في تاريخ الثقافة العربية[٣٢].

نماذج تحليلية تطبيقية للمحور الثاني

التحوُّل الحِجاجي نحو القِيَم الإسلامية — تحليل حِجاجي بياني وبديعي

النموذج الأول: بانت سعاد لكعب بن زهير — الاستمالة الحِجاجية التمهيدية والمدح النبوي

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ★ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ

أ — التحليل الحِجاجي:

يتجلّى في هذا البيت النموذجُ الأكمل لآلية "التوحيد الحِجاجي" في شعر المخضرَمين؛ إذ يجمع كعب بين حِجَّتَيْن تنتميان إلى منظومتَيْن مختلفتَيْن ويُصهرهما في بنية واحدة: الأولى استعارة النور وهي مقدِّمة حِجاجية ترتبط في الوجدان الجاهلي بالهداية والسؤدد، والثانية تصريح بالانتساب إلى الله (سيوف الله) وهي حِجَّة إسلامية تُلغي كل سلطة أخرى. فالبيت لا يمدح النبي بمقاييس جاهلية فحسب (الشجاعة والقوة) بل يُدرج هذه المقاييس في إطار إلهي يُكسبها قدسيةً تجعل الإذعان لها واجباً لا خياراً. وهذا جوهر ما أسمَّيناه "الاستمالة الحِجاجية التمهيدية": القصيدة تبدأ من الوجدان الجاهلي لتُوصِله إلى الإقرار الإسلامي.

ب — التحليل البياني:

تقوم البنية البيانية على ثلاث صور متشابكة: الأولى تشبيه بليغ (الرسول = نور) وهو من أرقى صور التشبيه إذ يحذف الأداة والوجه ويدع الدلالة تمتد إلى كل أوجه الهداية والإضاءة الروحية. الثانية استعارة مركَّبة (سيوف الله مسلول) تجمع بين استعارة السيف الدالة على القوة والبأس، وإضافته إلى الله التي تُعلي منزلته إعلاءً مطلقاً. والثالثة الكناية في "يُستضاء به" عن القيادة الروحية والاقتداء. وقد جمع كعب بين عالم النور (السماء — الروح) وعالم السيف (الأرض — الحرب) في صورتَيْن متكاملتَيْن يشكِّلان معاً الإنسان الكامل.

ج — التحليل البديعي:

تبرز في البيت المقابلة البديعية بين صورة النور (السكون — الإضاءة — الهدوء) وصورة السيف المسلول (الحركة — الحدَّة — النشاط)، مما يُنشئ توازناً بديعياً بين قوَّتَيْن: قوة الروح وقوة البأس. ويُلاحَظ الإيجاز المعجز في تكثيف صفات النبوة كلها في تصويرتَيْن متقابلتَيْن. كذلك يصطنع الشاعر جناس الاشتقاق الخفيف بين "مسلول" بدلالة السيف المنتزع وبين سياق "النور" الذي يوحي بانتزاع الظلام، مما يُعضِّد الترابط الدلالي بين الشطرَيْن.

النموذج الثاني: حسان بن ثابت في مدح النبي — التركيب الثلاثي للحِجاج المخضرَم

وَأَحْسَنُ مِنكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي ★ وَأَجْمَلُ مِنكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ

خُلِقْتَ مُبَرَّأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ ★ كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ

أ — التحليل الحِجاجي:

يُجسِّد هذان البيتان التركيبَ الثلاثي للحِجاج المخضرَم الذي أشار إليه البحث: الأولى جاهلية الطابع (الحسن والجمال الظاهري بمعاييرها العيانية)، والثانية إنسانية جامعة (انفراد الولادة وهو مقياس كوني)، والثالثة إسلامية صريحة في البيت الثاني (الخلق المُبرَّأ — التأهيل الإلهي). فكعب يُقيم سلَّماً حِجاجياً تصاعدياً يبدأ من المحسوس (ما رأت العين) ليصل إلى المطلق (خُلقتَ مبرَّأً)، إذ كلما صعد السلَّم ازداد الحِجاج قوةً وإلزاماً. ويبلغ الحِجاج ذروته في آخر الشطر "كأنَّك قد خُلقتَ كما تشاء" التي تُعبِّر عن مفهوم الاختيار الإلهي في لباس شعري لا يُخاطب العقل وحده بل الوجدان كله.

ب — التحليل البياني:

تقوم الصورة البيانية الكبرى في البيتَيْن على الكناية الجامعة في "مُبرَّأً من كل عيب" وهي كناية عن الكمال المطلق التي تُحيط بالمعنى إحاطةً شاملة. ويصطنع حسان تشبيهاً تمثيلياً مذهلاً في "كأنَّك قد خُلقتَ كما تشاء" يُقيم علاقةً افتراضية بين الإرادة البشرية والقدر الإلهي ليُظهر أن النبي بلغ من الكمال ما يجعل الصورة المثالية حقيقةً لا خيالاً. ويُسهم النفي الضمني في الشطر الأول (لم تر — لم تلد) في تشييد البنية البيانية عبر نفي الشريك قبل إثبات المقصود.

ج — التحليل البديعي:

يقوم البيت الأول على ازدواج بديعي محكم: (أحسن — لم تر) في مقابل (أجمل — لم تلد) بتوازٍ تام في البنية النحوية والإيقاعية، وهو ضرب من المقابلة البديعية التي تُعضِّد الحِجاج بقوَّة الإيقاع. ويبرز في البيت الثاني ائتلاف لطيف بين التبرئة من النقص (مُبرَّأً من كل عيب) والتأكيد على الكمال (كما تشاء) في حركة بديعية دائرية. ويُضفي الجناس الاشتقاقي في "خُلقتَ — خُلقتَ" (التكرار المقصود) إيقاعاً داخلياً يُعمِّق أثر الحِجاج ويُرسِّخه في ذاكرة المتلقِّي السمعية.

النموذج الثالث: كعب بن مالك الأنصاري — الحِجاج بالإيحاء القرآني وقِيَم الجهاد

لَقَدْ عَلِمَتْ قُرَيظَةُ وَابْنُ قَيلَة ★ غَدَاةَ الوَغَى مَا كُنتُ فِيهَا بِنَكِسِ

نَصَرنَا رَسُولَ اللهِ وَاللهُ أَمَّنَا ★ وَنَحنُ لَهُ جُندٌ إِلَى يَومِ يُحشَرُ

أ — التحليل الحِجاجي:

يُمثِّل هذان البيتان أوضح نموذج على توظيف الحِجاج بالمرجعية الإسلامية المزدوجة: مرجعية تاريخية (نصرنا رسول الله) ومرجعية غيبية (إلى يوم يُحشر). ففي البيت الأول يشتغل كعب على آلية "حِجاج الشاهد": يستدعي الخصم ذاته (قريظة) شاهداً على شجاعته، مما يُحوِّل الحِجاج من ادِّعاء ذاتي إلى اعتراف موضوعي. أما البيت الثاني فيتحوَّل إلى حِجاج إسلامي صريح يُحيل إلى اليوم الآخر وهو أقوى المرجعيات الحِجاجية في المنظومة الإسلامية. وتُلاحَظ في المقطعَيْن معاً ظاهرة "إعادة توظيف الفخر الجاهلي": فالتفاخر بالبسالة في الحرب موروث جاهلي، لكن هدفه الآن نصرة الرسول لا القبيلة.

ب — التحليل البياني:

يُوظِّف كعب في البيت الأول أسلوب القصر بالنفي (ما كنتُ فيها بنكس) وهو قصر قلب يرفع صفة الجبن ليُثبت البطولة بإيجاز محكم. وتتجلَّى الكناية في "غداة الوغى" عن يوم المعركة بكل ما تحمله من دلالات الاختبار والبطولة. أما في البيت الثاني فتبرز استعارة "جُند الله إلى يوم يُحشر" التي تُصوِّر المسلمين بوصفهم جيشاً أبدياً في خدمة الحق، وهي استعارة مُرسَّخة بالإيحاء القرآني الذي يُمنح الكلام قدرةً إقناعية تتخطَّى المنطق المجرَّد.

ج — التحليل البديعي:

يقوم التحليل البديعي على ثلاثة محاور: الأول الإيجاز بالحذف (ابن قيلة بدلاً من ذكر الأوس والخزرج) وهو إيجاز مشحون بدلالات التحالف والولاء. الثاني التصدير البديعي في البيت الثاني: ابتدأ الشاعر بفعل النصرة (نصرنا) وختم بزمن الخلود (يوم يُحشر) مما يُنشئ إطاراً زمنياً ممتداً من الحاضر إلى الأبد يُعطي الحِجاج قوَّةً كونية. الثالث التكرار الدلالي لضمير الجمع (نصرنا — نحن — له) الذي يُؤكِّد البُعد الجماعي للفخر الإسلامي ويُحوِّله من نرجسية فردية جاهلية إلى انتماء جمعي مؤمن.

ـ الهوامش ـ

(٢٠) صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م، ص ٣٨–٤٧.

(٢١) حسان بن ثابت، الديوان، مصدر سابق، ص ١٥٦–١٧٠.

(٢٢) الأزهر الزناد، نسيج النص: بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ص ١١٨.

(٢٣) كعب بن مالك الأنصاري، الديوان، تحقيق سامي مكي العاني، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٦م، ص ٩٤–١٠٢.

(٢٤) الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، تحقيق إحسان عباس وإبراهيم السعافين وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ط٣، ٢٠٠٨م، ج٤، ص ١٥٦.

(٢٥) طروس، محمد، التحليل الحجاجي للخطاب الأدبي، مجلة كلية الآداب، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، العدد ١٨، ٢٠١٢م، ص ١٥.

(٢٦) حسان بن ثابت، الديوان، مصدر سابق، ص ٢٠١.

(٢٧) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م، ج٥، ص ٢٧٨.

(٢٨) الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، ج١٤، ص ٨٩.

(٢٩) ينظر: باختين، ميخائيل، الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م، ص ٤٩.

(٣٠) بلعابد، عبد الحق، عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م، ص ٦٣.

(٣١) غرايس، هربرت بول، منطق الحوار (Logic and Conversation)، في: كول وجاكسون (محرران)، دراسات في بناء الحوار، نيويورك، ١٩٧٥م.

(٣٢) ينظر: الوليد بن عقبة، دراسات في شعر المخضرمين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨م، ص ٣٣.

الخاتمة: أبرز النتائج والتوصيات

خلصت هذه الدراسة التحليلية في الخطاب الحِجاجي عند شعراء المخضرَمين إلى جملة من النتائج العلمية والمنهجية الجوهرية يمكن إجمالها على النحو الآتي:

أولاً: النتائج

١- إن الخطاب الحِجاجي في شعر المخضرَمين لا يُشكِّل انقطاعاً تاماً عن الموروث الجاهلي، بل يُمثِّل نمطاً من التفاوض الخطابي الذي يُعيد توظيف الأدوات الحِجاجية الجاهلية في خدمة منظومة قِيَم إسلامية جديدة(٣٣). وهذه نتيجة جوهرية تُغاير ما ذهب إليه بعض الباحثين الذين نظروا إلى شعر المخضرَمين بوصفه قطيعةً حضارية تامة.

٢- يتميَّز الخطاب الحِجاجي المخضرَم بظاهرة "الانشطار الحِجاجي"، وهي تعايش صوتَيْن حِجاجيَّيْن متوتِّرَيْن في القصيدة الواحدة: الصوت الجاهلي المُستدعَى من الذاكرة الثقافية، والصوت الإسلامي المُستمَدُّ من الوحي والتجربة الإيمانية. وهذا التوتُّر هو مصدر الثراء الأسلوبي والجمالي لهذا الشعر.

٣- وظَّف المخضرَمون الأدوات الحِجاجية الجاهلية (الفخر، والهجاء، والرثاء، والغزل) توظيفاً وظيفياً مزدوجاً: للاحتجاج أمام الجمهور الجاهلي بمعاييره الثقافية، وللاحتجاج أمام الجمهور المسلم بتأطير هذه الأدوات في خطاب الدعوة والجهاد.

٤- تتجلَّى أعلى درجات الوعي الحِجاجي عند المخضرَمين في ظاهرة الإمساك عن الشعر التي مارسها بعضهم كلبيد بن ربيعة، وهي موقف حِجاجي ضمني يُعلي من شأن الكلام الإلهي على كل كلام بشري.

٥- يتمتَّع الشعر المخضرَم بخاصية التكيُّف الحِجاجي مع تعدُّد الجماهير، إذ يُعدِّل الشاعر استراتيجيته الحِجاجية بحسب طبيعة المتلقِّي سواء أكان قبيلةً جاهليةً أم جمهوراً مسلماً أم خصماً مشركاً.

٦- كشف البحث عن عدم كفاية المناهج الأسلوبية التقليدية وحدها في تحليل هذا الشعر، وأثبت الحاجةَ إلى تضافر المنهج الحِجاجي والتداولي مع الموروث النقدي البلاغي العربي لتحقيق قراءة شاملة ومنصفة.

ثانياً: التوصيات

١- يُوصي البحث بإعادة قراءة دواوين شعراء المخضرَمين قراءةً حِجاجية تداولية شاملة تُعنى برصد الأنماط الحِجاجية ومقارنتها بين الشعراء أنفسهم، مع مراعاة الفوارق الجغرافية والقبلية في التلقِّي.

٢- يُوصي البحث الأكاديميين المعنيِّين بمناهج الدراسات الأدبية في الجامعات العراقية بإدراج نظريات الحِجاج الحديثة ضمن المقررات الدراسية المخصَّصة للأدب الجاهلي وصدر الإسلام، لتعميق فهم الطالب لأبعاد النص الشعري الوظيفية.

٣- يُوصي البحث بإجراء دراسات مقارنة بين الحِجاج الشعري المخضرَم والحِجاج القرآني وأساليب الخطاب النبوي، لاستجلاء طبيعة التأثير المتبادل بين هذه الأنماط الخطابية في الحقبة التأسيسية للإسلام.

٤- يُوصي البحث بإنشاء مشروع بحثي متخصِّص في الأدب المخضرَم يضمُّ باحثين من الأقسام العربية في الجامعات العراقية كافة، يهدف إلى إصدار موسوعة تحليلية شاملة تغطِّي كل شعراء هذه الطبقة من منظور الدراسات اللغوية والخطابية الحديثة.

٥- يُوصي البحث بالاستفادة من نماذج الخطاب الحِجاجي المخضرَم في تطوير أساليب الخطاب الثقافي المعاصر، لا سيَّما في مجالات الحوار الحضاري الذي يستلزم التعامل مع منظومات قِيَمية متعدِّدة ومتباينة.***وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين***

ـ الهوامش ـ

(٣٣) ينظر: طروس، التحليل الحجاجي للخطاب الأدبي، مصدر سابق، ص ١٨-٢٢.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية الكلاسيكية المحققة

١- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، تحقيق إحسان عباس وإبراهيم السعافين وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ط٣، ٢٠٠٨م.

٢- ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١م.

٣- ابن سلام الجُمَحي، محمد، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٤م.

٤- ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد، العقد الفريد، تحقيق عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

٥- ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٦٦م.

٦- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٩٩٨م.

٧- الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق هلموت ريتر، دار المسيرة، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.

٨- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢م.
٩- القزويني، الخطيب محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٥، ١٩٩٨م.

ثانياً: الدواوين الشعرية المحققة

١٠- حسان بن ثابت الأنصاري، الديوان، تحقيق عبد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
١١- كعب بن زهير، الديوان، تحقيق علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
١٢- كعب بن مالك الأنصاري، الديوان، تحقيق سامي مكي العاني، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٦م.
١٣- لبيد بن ربيعة العامري، الديوان، تحقيق إحسان عباس، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٢م.
١٤- النابغة الجعدي، الديوان، تحقيق واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

ثالثاً: المراجع النقدية والدراسات الحديثة

١٥- الأزهر الزناد، نسيج النص: بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
١٦- أنسكومبر، جان كلود وديكرو، أوزوالد، الحجاج في اللغة، ترجمة عبد الله صولة وآخرين، مكتبة علاء الدين، صفاقس، ط١، ٢٠٠٦م.
١٧- باختين، ميخائيل، الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م.
١٨- بلعابد، عبد الحق، عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
١٩- بيرلمان، شاييم وتيتيكاه، لوسي أولبرشت، مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة، ترجمة محمد صالح ناجي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠١١م.
٢٠- صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.
٢١- طروس، محمد، التحليل الحجاجي للخطاب الأدبي، مجلة كلية الآداب، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، العدد ١٨، ٢٠١٢م.
٢٢- العزاوي، أبو بكر، الحجاج والاستدلال الحجاجي: عناصر استقصاء نظري، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج ٢٨، ع٣، ٢٠٠٠م.
٢٣- الوليد بن عقبة، دراسات في شعر المخضرمين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨م.
٢٤- غرايس، هربرت بول، منطق الحوار، في: دراسات في بناء الحوار، كول وجاكسون (محرران)، نيويورك، ١٩٧٥م.